



موعد مع « سميرة » تلك الفتاة التي عرفها من صديق له ، وتشبث بها ، كأنها كنز ، لأنها كنز بل لأنها تعينه على تغيير هذه الحياة المطردة التي لا تختلف ولا تتنوع ؟ ولو ترك ازواجه الكفاية أما كان يسمعه أن يلتقي سميرة ، وأن يقضى معها ساعات ينسى فيها أن حياته مملة ، وأن وتيرتها واحدة ، وأن روحه زهقت ؟. آه لماذا لا تستطيع الزوجة أن تكون أبداً جديدة ؟. لماذا تدع زوجها يمل حياته معها ، وإن كان يحبها ويعرف لها قدرها ويشكر إخلاصها ووفاءها ؟ المصيبة أن الزوجة لا يخطر لها أن الرجل يمل هذه الوتيرة الواحدة ... لا يخطر لها أنها هي لا تستطيع أن تأكل كل يوم « ملوخية » لماذا لا تكاف نفسها عناء التفكير في ما هو خالق أن يجعل الحياة معها كل يوم جديدة ؟ لماذا تفرض أنه لن يمل أو يضجر أو يسأم هذا العيش الذي لا يتغير ... ؟

ولم يكن عيب « عاقل » قلة الانصاف ، فلم يسمعه إلا أن يقول لنفسه ، وهو مسند ذقنه إلى راحتيه ، إن زوجته أيضاً مثله ، أي خليقة أن تمل وأن تضجر ولكنها لا تضجر ولا تمل ، ولا تلتمس مثله التسليمية والترفيه عن النفس بما يتفق أن تفوز به خارج

صنع « عاقل » من راحتيه كأساً لذقنه وحديج النافذة بنظره ، وراح يفكر .. هذه ثلاثة مرة في أسبوع واحد يدس ريلاً لزوجه تحت الوسادة ، ويخرج من البيت متسللاً كاللص على أطراف أصابعه لثلاث تستيقظ فتسرد له الحاجات المختلفة التي تقتضي زيادة في النفقة فلا يكفي ريال للمطالب العديدة التي يعرفها ولا يجملها . وماذا عساها تصنع فيما ركبها من الدين .. اللبان له عشرة قروش . والخباز له أكثر من ثمانية عشر قرشاً ... وغيرهما أيضاً ... وكانت العادة أن يؤدي عن ما يأخذ ، فارتاب هؤلاء الناس لما رأوا أنه يأخذ ولا يؤدي الثمن ، ولو كان عودهم غير ذلك لاعتادوه ، فان غيره يأخذ ويعطى أول الشهر ... ولم يكن يمجزه أن يترك لامرأته ما يكفي ، ولكن .. ولكن ماذا ؟ ماله لا يصارح نفسه ؟ أليست الحقيقة أنه مل هذه الحياة الجافة التي لم يعد يجد فيها متعة أو لذة فهو يرضى على بيته وأولاده بما معه لعل وعسى ؟ ؟ عسى أن يتفق أن يلقى ما يسره ويجدد نفسه فلا يقول كما قال السمير : « فتراني طول عمري تائباً من غير عفة ؟ » عسى ؟ أيكذب حتى على نفسه ؟ وبأبي إلا أن بفالط ، وإن كان لا أحد معه ؟ سبحان الله ! أليس على

الواقع أنه لا يحس بإمكان القناعة بهذه الحياة الجافة التي لا تنوع فيها ولا اختلاف في وجوهها ، والمسألة هي لماذا لم يستطع أن يحكم تدير الجانب المالى بحيث يتيسر له أن يؤدي مطالب البيت على الوجه الكافى المريح ، وأن يستبق بعد ذلك ما يحتاج إليه فى سد المطالب الأخرى ؟ .. هذه هى المسألة الجديرة بالتفكير والعناية ، وما عدا ذلك كلام لن يغير من الواقع شيئاً ، ولن يسوغ قبيحاً أو يفتح حسناً بل هناك مسألة أخرى أحوج إلى البت السريع وتلك أنه على موعد مع « سميرة » ولكن صديقاً له دعاه إلى الغداء مع « رقيقة » وهى فتاة مسلمة تنسب هذا الاسم الاسرائيلى ؛ ورقيقة شىء جديد ، فاما حلاوتها ولجاسها أنسه وفننته المستفادة على الأقل من الجدة ، وصحيح أنها صديقة صديقه لا صديقه هو ، فليس له مطعم فى أكثر من الحديث والنظر ، ولكن من يدري ؟ .. ولا بأس من إخلاف موعد سميرة ، فانه يستطيع أن يمتدح إليها بعد ذلك وهى تعرف أين تجده على كل حال ..

وهز رأسه متعجباً وقال لنفسه : « كيف يا ترى يعرف فكرى (يعنى صديقه) هؤلاء الفتيات البارعات ؟ » ذلك أنه هو نفسه يجد عسراً وعناء شديدين فى الاتصال بمن يخيلنه من البنات ذوات الدل والحسن ؛ وما أكثر ما تنصدى له الفتيات بجملهن وزينتهن فى الشرفات وفى الطرق ، فيخجل أن يفعل ما يفعل الشبان الأبقاع ، ويندر أن يزيد على الابتسام ثم ينصرف آسفاً متوجعاً ؛ واقعد وقف مرة فى شارع ينتظر أن يفتح له شرطى المرور الطريق ، وإذا بفتاة تضع كفها البضة على يد الباب وتنظر إليه متبسمة باشة وتقول بصوت حلو :

البيت .. بل هى لا تخرج أبداً . إلا إذا كانت معه ولزيارة قريب مريض ، أو لداع من هذا القبيل ، ليس لها سواه .. هو محور عالمها كله . لا تكاد تعرف لنفسها حقاً يقابل واجباتها ... حسبها أنها تأكل وتشرب وتلبس وأن تكون حقيبتها فيها جنبان أو ثلاثة .. ما يكفيها والسلام . فإلى مطالب تعرفه وراء ذلك . لا سيما ولا خلافه ... لم تطالب منه قط أن يحملها معه فى سيارته وأن يجول بها جولة فى الهواء الطلق ... كلا ... أبداً ... مسكينة ... وإنها لأحق بالسيارة منه فقد أثبت له أن يركب تلك السيارة القديمة وألحت عليه أن يشتري أخرى جديدة تليق به فاعتذر بأنه ليس معه مال ، فخرجت له عن كل ما ادخرت .. ثلاثين جنباً وضعتها فى يده ليتيسر له أن يشتري سيارة جديدة بالتقسيط ... ولشد ما يفرحها أن تراه مقبلاً فى السيارة الجديدة وتركب أحياناً معه فتقول له وهى تضحك : « إنها سيارتى . أليست كذلك ؟ » فيقول : « بالطبع » فتقول : « إذن من حق أن أستعمل السكلاكسون فيهول : « كما تشائين » فيسرها أنها تضغط الزر من حين إلى حين فيصيح « السكلاكسون » بالناس أن تنجوا عن الطريق . وتضحك مسرورة ثم تنجبل فتكف .

ولكن من الانصاف لنفسه أن يقول إن قناعها به راجعة إلى أن أفقها محدود ، وضيق الأفق نقص ولكنه أثر فضيلة لا شك فيها ؛ أما هو فحبيب أفق النفس ، فإذا كان لا يقنع بالحياة الضيقة المملة الغثة ، فالسبب هو هذه السمة فى روحه وفى آفاهه ، وبالتالي فى مطالبه وحاجات نفسه .. ومع ذلك ما داعى هذه الفلسفة كلها ؟ ..

« افتح ! » ، فخدق في وجهها مبهوتا من جرأتها ، مرتابا في أمرها ، ثم لم يسمعه إلا أن يقول لها : « بالطبع ... تفضلي » ، فرفعت حاجبيها مقدار مليمترين - كأنما كانت هي الحقيقة بأن تتمجب - وقالت : « صحيح ؟ » بالهجة حيرته ، فلم يدر أي تستوثق أم تستنكر ؟ ولكنه ترك ذلك وقال : « بالطبع ... ولم لا ؟ ... » ، فضحكت - نعم ضحكت ... فهففت في الطريق - وقالت : « مرسي ... » ولكنها لم تركب بل وقفت تتلفت كأنما تشاور نفسها ، أو كأنما تنفض المكان لنظمتين وتستوثق من أنه لا يراها أحد ممن تعرف ثم ردت إليه وجهها وقالت : « في وقت آخر ... مرسي » كأنما كان يعرفها ويعرف أين يلقاها حين يصبو إليها ، تخفق قلبه خفقات قوية لها في رأسه دوى ، وأحس أن ركبتيه تخالخلتا ، وصارت يده ترعش كما يرعش القروور ، وسمع نفسه يقول : « أرجوك .. أرجوك .. لا تخيبي أُمِّي » ، ولكنها رمت إليه ابتسامة ومضت خفيفة رشيقة إلى الرصيف ... وفتح الطريق في هذه اللحظة ، فلم يسمه إلا أن ينطاق ؛ غير أنه وقف بالسيارة على محاذاة الرصيف ودار في مقعده ، وأرسل طرفه إلى حيث رآها تذهب ، فلم يمر لها على أثر ؛ وكان الذي استخفه أنها على التحقيق ليست من بنات الشارع - يدل على ذلك أنها غضة السن صغيرتها ، ولا يكاد يُعقل أن تكون الحرفة قد أدركتها ... مستحيل ! ... ولكن جرأتها ؟ ... أووووه ! ... هذا شيء بطير العقول ...

وكانت له معاملة نموية روسية سكن إليها زمنا ؛ ولم يكن يريد أن يتعلم شيئا وإنما كان يبنى

أن يعرف فتاة شريفة يستطيع أن يأنس بمجالسها وحديثها ، وأن يقضى معها ساعة كل يوم ينسى فيها حياته المملة ويجدد فيها نفسه ؛ واطمأنت الفتاة إليه ، ووثقت به ، فصارا صديقين ، وكانت قصة حياتها محزنة ، فكانت تقول له بشجوها وهو ينظر إليها وقلبه يفيض بالمطف عاها ، ثم يرفه عنها ويمسح لها على قلبها - حقيقة ومجازا - ولا يتركها إلا بعد أن يعيد إلى وجهها البشر والاشراق ، وإلى نفسها الرضى والسكون ، فوجدت عنده المسكنة ما لم تجده عند أبيها ، وأصدقائها ، فصار عندها فوق الصديق وأقرب ما يكون إلى الحبيب ؛ وأدرك هو ذلك ، ففزع وخشى أن يتورط معها في علاقة يكون من ورائها حرج له ولها أيضا ، واتفق يوما أن فتح أبوابا له الباب ، وقال له بلهفة :

« ادخل يا سيدي بسرعة ... ايللى ... ايللى ... »

فسأله : « مالها ؟ »

فقال : « مضطربة ... جدا ... ولا أحد يستطيع أن يعيد إليها نفسها سواك ... عجل يا سيدي ! »

فرى طربوشه ومطفه - فقد كان الوقت شتاء - وحث خطاه إليها فألقاها راقدة على سريرها وصدرها يملو ويهبط كموج البحر ، فتناول كفها في صمت ومسحها وربيت لها على خدها وإذا بدموعها تنساب ، وتجرى على خديها الى عنقها ، فقال لها برقة وعطف : « ابكى ... ابكى إذا شئت ... فانه أشقى ... لا تخجل ! »

فتهدت ورفعت كفها الى عينيها ، وكفكت

وأخشاه ... است لي ولا أنا لك فيحسن أن ينهني الأمر الآن »

فحدثت في وجهه كالمهوبة فقال : « نعم ... هذا خطأ ... خلط فطيع ... وأنا المستول فقد كان ينبغي أن أقدر هذا كله وأن أستشف النهاية من البداية ... ولكنني أعترف أنني استعذبت صداقتنا وسكنت نفسي إليها واطمأنت ، فخلل الرضا عزى وأضعف رأيي ، حتى رأيت منك ما رأيت الليلة فعدت إلى القوة فهل أنت فاهمة ؟ »

فصاحت به : « ولكن هذه قسوة ... ظلم ... »

قال : « القسوة والظلم أن أدعك تلجين في حالة ليس لها من عاقبة إلا الحسرة والندم والألم » قالت : « ولكن لا أبني منك شيئاً ولا مطلق لي في شيء ... إني أعرف أنك متزوج ... دعني أحبك . ما ذا عليك لو فعات ؟ »

قال : « هذا كلام تقوابينه الآن ... صديقي فاني أدري منك بالحياة ، وأعرف بالنفس الإنسانية وأطول خبراً ، وأعمق في الأمور نظراً ... تسألين ما ذا على لو تركتك ؟ الجواب يا فتاتي المسكينة أن على تبعة أمام ضميري ... أنا أيضاً أحبك ... »

فصاحت مقاطعة : « انتهىنا .. تعال تعال .. » فقال : « مهلاً .. لا تعجلي .. نعم أحبك .. حبي لك حب الصديق بل أكبر وأقوى ... هو كحب الأب أو الشقيق إذا شئت ... ولكنه مع ذلك من نوع آخر ... هل تسمحين لي أن أحدثك بصراحة ؟ حسن ! ... اسمحي إذن ... نعم أحبك حباً لا هو عشق ولا هو صداقة ولا هو حنو أب أو أخ ... لا أدري ماذا هو ، ولكنني أدري أنه

من دمعها ، وتركها هو تفعل ذلك وأقبل على ذراعها بدلسكها ، وعلى صدرها أيضاً ، وعلى ساقها ورجلها وهي ساكنة مطمئنة ، وكان وجهه إلى قدميها ، وهو بدلسكها ، ثم رمى إليها نظرة خاطفة فألفاها قريرة العين تبتسم كأنما ترى حلماً جميلاً ، فرد وجهه إلى القدمين وقال لنفسه : « آه .. كان ماخفت أن يكون ... ما العمل الآن ؟ » وحيره السؤال وجوابه ، فترك الأمر للمقادير ولالهام اللحظة ، والتفت إليها وسألها بعينه : « أحسن ؟ » فأجابت بابتسامة ، ونحّت خصلة من شعرها الذهبي عن جبينها الوضاء ، فحنا عليها ، وأراح كفيه الغليظتين على جانبي محياها الدقيق المعارف وقال لنفسه : « هذه فرصتي اثناً كبد ما بيننا من التفاوت في السن واستعصاء الحب الطويل العمر ، المأمول الخير بيننا » وكيف يتركها محبة وهو خالق أن يعلمها بعد شهر ؟ ومال عليها واثم جبينها فضحكت ضحكة عصبية وقالت : « كأنك أبي بقبلي » وكان هذا ما يريد أن يقرره في نفسها ... أنه كأنها ... فادعى أنه لم يسمع ما قالت واعتدل وأخرج سيجارة وهم بأن يشعلها ، وإذا بها تنتفض قائمة وتخطف السيجارة ، وترمي بها وتطوقه بين ذراعيها وتهوى على وجهه بالقبل الحار ، وهو مستسلم لهذه الثورة العصبية وإن كان قد لف ذراعه على خصرها وكأنما أضجرتها فتوره ، فدفعته بكفها وانحنى وأنشأت تبكي وتنشج ، كأنما كان قلبها يتفطر ، ثم قالت له وقد سكنت قايلاً : « معذرة ... إنني آسفة ... قل إنك غفرت لي » فأشار إليها بيده إشارة من يريد أن يقول إنه لا شيء هناك يستوجب الاعتذار ثم قال لها بجذ : « اسمي يا ابلي ... لقد كنت أقدر هذا

الغرفة : « أشكرك مرة أخرى ... والآن هل انتهى
الدرس الذى تلقينه على ؟ »

فقال : « لا تنهكى ... انى أتكلم جاداً ...
لماذا لا تفهمين ؟ »

فقالت وهزت كتفها : « أحسب أن إدراكى
قاصر ... هذه الفلسفة عويصة »

فنهض وقال : « إذن لم يبق لى كلام ... فهل
تسمحين لى أن أخرج ... أعنى أن أودعك ؟ »

قالت ببرود : « أوه ... أمسافر أنت ؟ »
قال : « أظن ... الغالب ... يحسن أن أسافر »

قالت : « أرجو أن أراك بخير »
وشمر وهو خارج أنه أذلها ، فقد باحت له

بحبها فصدھا وردھا بقسوة وغلظة . ولكن القسوة
تكون فى أحيان كثيرة خيراً من اللين الوبيل ...

قسوة ! ولين ؟ كلام فارغ ! فلسفة سخيفة !
لماذا لم ينعم بهذا الحب الذى وفق إليه ؟ ... هذه

فتاة جميلة مهيبة تحسن الحديث وتستطيع أن
تخوض معه فى كل موضوع ، وقد ألقاها القدر بين

يديه ، وصارحته بأنها تحبه ، وأنها لا تبغى منه
شيئاً ، وأنها تدرك مقتضيات موقفه ، ولا يخفى

عليها أنه متزوج ، وأنه رب أسرة ، وأن لا سبيل
بينهما إلى أكثر من الصداقة الوثيقة ، وأنها

موطنة نفسها على ذلك كله ... وهو يحبها أيضاً ...
ليس حباً فى الحقيقة ولكنه يأنس بها ، وتطيب

نفسه بالوجود معها ، وينشرح صدره ويذهل عما
يسخطه ويضجره فى الحياة ، فلماذا قطع الجبل وأبى

إلا أن يكون سخيلاً أحمق ؟ ... وأين يجد خيراً
منها ، وأصفى نفساً ، وأكرم خيماً ، وأحسن ودّاً

وأظرف وأحلى ؟ ... أوه ! ... ولماذا يطلب غيرها ؟

يسرنى أن أريح يدى على صدرك ، وأن ألس
بأطراف أصابعى نديك ، وأن أطوقك بذراعى ...

وأشتهى أن أضمك أيضاً إلى صدرى ... أضمك
كما يضم الوكر الحمامة ... وأن ألس شعرك ... أن

أعبت به وأرسل خصله المتوجة على خديك
الأسيلين ... وأن أرفع ساقك فأضمها على ساقى

ونحن نقرأ ... وأحس أحياناً بلسمة نار ... كأن
لساناً من اللب الحامى يرتفع فجأة فيلسع قاذى ثم

يزول هذا عنى بأسرع مما كان ... فأقضى الى سكونى
وبرودى المألوفين ... وما أكثر ما جلست الى

جانبك والكتاب أمامنا ، وذراعى حول ظهرك ؛
وأصابعى على نديك الناهد ... وما أكثر ما نظرت

فى عينيك كأنما أريد أن أغوص على سر نفسك ...
وأحسب أنك لم يفتك ذلك ... ولعل أسأت به من

حيث لا أريد ... ولا أدرى ... ولكن ما أكثر
ما كبحت نفسى ورددتها عما تشتهى ... إشفافاً

عليك ... اسألى نفسك أين يمكن أن ينتهى هذا
إذا بدأ ؟ ... النهاية خفيفة ... لك أولاً ... ثم لى

لا أريد أن أعانى الحب ... لا صبر لى عليه ... ولا
لذة لى فى جنونه ... كلا ... لا أريد أن أحب ...

لهذا خنقت العاطفة وهى واعدة ... قلت لنفسى :
هى أسمى ، ودستها بقدى هاتين ... وما زلت

أحبك يا إيللى فما يسمنى غير ذلك ، ولكنه عطف
وحنو ومودة ... ذلك أنى كالأعصار ... خفيف ...

وأنا أخاف عليك من نفسى لأنى أعرف نفسى ...
قولى إنك تفهمين وتدركين وتمدرين »

فلم تقل شيئاً من هذا ولكنها ضحكت وقالت :
« أشكرك »

ثم قالت وهى تنهض عن السرير وتمشى فى

وهو اليوم على موعد معها، ومع فكرى وصاحبته « رقيقة ». . . وقد اعتزم أن يخاف موعد سميرة وأن يحدد نفسه باقائه رقيقة وإن كانت لغيره . ودخل عليه فكرى وقال بلا تحية : « هه ، قم » فأحس عاقل أن رأسه يدور ، ويدور وقال : « إلى أين ؟ ألا يمكن أن تعفينى ؟ »

قال فكرى : « كيف يمكن ؟ إن رقيقة تلح على أن أجيء بك »

فقال لنفسه : « تلح عليه ؟ لماذا تلح ؟ كلام فارغ . . . وهبه غير فارغ فماذا يعنينى من رقيقة أو غيرها ؟ . . . لماذا أعذب نفسي وأشقيها ؟ . . . ليس هى رقيقة . . . بل هى أن أجده فتاة أحبها وحسبى منها ألا أكون ثقيلا عليها وبغيضا إليها . . . يا لهكم الأقدار . . . كانت لنا فتاة تحبنا وتقتنع منا بأن ندعها تحبنا . . . ولم نكن نكرهها . . . ولكننا اغتررنا وتبطرنا فرفضنا النعمة التى ساقها إلينا حسن الحظ والآن نندم ونشتهى أن نحب ونقتنع بالألا نكون ثقلاء . . . يا لسخرية الأقدار ! » وقال لفكرى : « أرجو أن تعفينى . . . لا أستطيع . . . رأسى لا أدرى ماله . . . ولكنى لست فى حالة تصلح لمثل هذه الجلسة »

فقال فكرى ملحا : « قم يا شيخ . . . رفه عن نفسك . . . هذا تأثير العمل المتواصل . . . يجب أن تريح نفسك قليلا . . . إن هذا انتحار . . . قم . قم . . . » فأبى عاقل إلا العناد ، وأصر على الاستعفاء ، فلم يجد فكرى حيلة فانصرف أسفا

ولم يكذب يذهب حتى ندم عاقل ومازعتة نفسه أن يلحق به ، ولولا الحياء لافعل . وخرج من مكتبته وهو يقول لنفسه : « مالى أنا ؟ إنهما حبيبان فما

لماذا لا يقتنع بيته ؟ . . . يقتنع ؟ . . . نعم ينبغي أن يقتنع بحياته الهادئة المنتظمة ، ماذا جرى لعقله ؟ يجب أن يروض نفسه على الرضى والسكون والقناعة بالوجود ، كما راض نفسه على قطيعة إبلى . . . أيقوى على هذا ولا يقوى على ذلك وهو أولى ؟

ولم تتركه إبلى إلا بعد أن بثت - كتبت إليه بضع رسائل تستعطفه وتلح عليه أن يرجع فكان يرد إليها الرسائل من غير أن يفضها ، فقد كان يعرف خطها فلم يسمها إلا أن تقصر

ومضت شهور ، استطاع فيها أن يحمل نفسه على مكروهاها ، وأن يلزم بيته ، ويتخلى لعمله ، ويصرف عينه عن النظر والتطلع ، وقابه عن الاشتها ، حتى لقي سميرة . . . فتذكر أنه رأى مرة طفلا يفحص الأرض بقدمه فتفعلت حصاة صغيرة فنحاهها الغلام بأصبع رجله ، وإذا بالماء ينبع ويروح يفور منها ويسيل على وجه الأرض . . . كذلك هو . . . كان شىء فى نفسه محبوسا . . . كانت عواطفه الزاخرة لا يحجبها إلا شىء رقيق . . . فلم يكذب يلتقى بفتاة تضع أصبعها على قلبه ، كما كان ذلك الغلام يصنع بقدمه ، حتى أنهدم السد الذى يحجز الطوفان ، كما تفعلت الحصاة فانثبثق الماء من تحتها . ولم تكن سميرة ترضيه ولكنها كانت تعلم . . . وكان فيه وفاء فأبى له أن يرى بها على حين تقبل هى عليه . . . غير أنه مع ذلك مل . مل . مل . . . يريد خيرا من سميرة . . . أذكى وأبرع . . . وأرشد وأظرف . . . أحلى ابتساما . . . وأرسخ نديا . . . وأعدل قواما . . . لقد سمعت سميرة . . . غلظت ساقها واكثر لهما . . . أوه لماذا تركت نفسها تزداد لهما وتنقص جمالا ورشاقة ؟

ولا قيمة لها ... أهذا صحيح ؟ ... أوه ... هذا
وجع رأس ... أكف والسلام ... وبعد ذلك
أبحث عن البواعث ... أستطيع أن أقنع نفسي
بشرف البواعث ... ولكن لماذا أغالط نفسي في
الحقائق ؟ ... أمغفل أنا ؟ ... من الذى قال إنى أغالط
نفسى ؟ ... إذن كن صريحاً يا شيخ ... هب الآن
أن فتاة جميلة من اللواتى يصبو إليهن قلبك قابلتك
الآن ؟ ... مجرد فرض بالطبع ... لا أمل فى ذلك
ولامطمع ... ومن أين تجيء منى النفس هذه ؟ ...
ليتها تجيء ! ...

وإنه لماش يتحدث نفسه بهذا وما إليه ، وإذا به
يلتقى بصديق يصيح به بصوت عال كأنما ظنه
أصم : « أهلاً » ويعطها كأنما يصيح بقوم بعيدين ،
فقال له عاقل : « ماذا عندكم اليوم من المأكول ؟ »
وكانت صداقته به وثيقة ، وبين الأسرتين مودة ،
فقال صاحبه « زكى » :

« أوه ... وما الذى أدرانى ؟ تعال معى وكل
الموجود »

قال عاقل : « حسن . امض بى الى المائدة فانى
أتضور جوعاً »

فسأله زكى : « وأين السيارة ؟ مع الست ؟ »
قال : « لا الست ولا السيد ... تركتها
لأتمشى »

وبلغا البيت وأقبلت عليه أخت زكى
— كريمة — تحييه وترحب به ، فقال زكى :
« ألا تهنئها ؟ »

قال عاقل : « خير ان شاء الله ؟ . مبروك على
كل حال »

فاضطرم وجه كريمة ، وكانت سبيحة الوجه

محلى بينهما ؟ حسناً فعلت بالاعتذار » وقال لسائقه
— فقد كان له سائق ينفية أكثر الأحيان من
العمل — : « اذهب أنت بالسيارة ... سأتمشى »
فسأله السائق : « ألا أقول لهم شيئاً فى البيت ؟ »
قال : « لا أعرف متى أعود ... وخذ ...
أعط الست هذا »

وناوله خمسة جنيهات ، وأحس بالراحة لما فعل
ذلك كأنما كفى به عن سيئة الصباح والريال الذى
دس به يده تحت الحدة ولم يترك سواء لزوجته ؛
ومشى يتحدث نفسه أنه كان سخيلاً مجرمًا ... معه
كثير ... غير الخمسة الجنيهات التى دفع بها إلى
السائق أيضاً ... ومع ذلك يستبقها ويترك ريالاً ...
ولماذا ؟ ... لأنه قد يتفق له أن يلتقى ... أوه
بالسخافة ... ونقص العقل ... وسوء الرأى ...
ماذا ترى يكون رأى زوجته فيه لو عرفت هذا ؟ ..
زوجته التى تثق به ولا يمكن أن يختلج فى نفسها
شك أو تخطر على بالها ريبة ؟ .. ولو كانت زوجته
من هؤلاء المصريات اللواتى لا يفتأن يخرجن إلى
حيث لا يدري أحد ؟ ... أعوذ بالله ! ... لا بل
الحمد لله ، والشكر له ، على هذه النعمة الجزيلة ...
نعمة الاطمئنان على عرضه وشرفه ... وهل جزاؤها
أن يخونها وهى آمنة مطمئنة ، ووثيقة فى عفته
وطهره ؟ ... لا . يجب أن يكف عن هذا كله ...
إن أعصابه متعبة مرهقة ، وهو يزيد إرهاقاً بهذا
السلوك العيب ، فليكف ليريح أعصابه ، إذا
لم يكف وفاء لزوجته واحتراماً لها ... بل يكف
وفاء لها ، وإلا كان الكف غير خلاق بأن يريح
ضميره ... يكف والسلام ... هذا هو المهم ...
البواعث لا تهتم هنا ... ولكن أمى لا تهتم ؟

نضيرته ، ونجلاء حوراء ، وهيفاء ممشوقة ، وقال
زكى : « أنظر الى بدها وخن »
فنظر عاقل فرأى الخاتم قابئهم وقال : « هل
أهني بلساني أو بفعي ؟ »

فقال زكى : « وما الفرق ؟ »
قال : « الفرق هو هذا . تعالى هنا يا ستي . .
أين ينبغي أن أقبلك ؟ . . أقول لك . . في كل مكان
إلا شفيتك . . أدع هذين لخطيبك . . فان هذا
حقه ولا يجوز أن أعتدى عليه »

وقال زكى : « ولكن هل الحب بالارادة ؟ »
وقالت كريمة : « ولكنك تحب زوجتك ؟ »
فقال يجيبهما : « نعم بالارادة . . أشغل قلبك
بارأة معينة ، يُشغَل . . وأنت يامولاتي أقول
لك إنى أحب زوجتي . . وسأظل أحبها . . ما في
هذا شك . . بحكم المادة على الأقل . . ولكنه
حب هادى فآثر . . قولى إذا شئت إنه حب
رزين . . وماذا ينفع الحب الرزين ؟ . . ان الانسان
يحتاج أحيانا الى وقدة الأتون ليصهر نفسه فى النار ،
فيصفو معدنه من الأخلاط التى تتكدس كالصدأ
على السلك فتقطع تيار الحياة . . التيار الروحى الذى
هو سر الحياة . . وهذا ما لا تستطيع زوجتي
الآن . . ولا أنا أستطيعه لها . . كلانا أصبح غير
صالح لأن يشير فى نفس صاحبه تلك الزوينة التى
تحرك أعماق النفس وتطغى على السطح بمض
مارسب فيها ، وما لعله أصلح من الطاقى الآن . .
النفس تحتاج الى الزوابع أحيانا لابرار الكامن
وإثارة الدفين . . من يدرى ماذا فى أعماق
نفسى ؟ . . وماذا يمكن أن يدفع بهذا المضمهر الا
ثورة شديدة ؟ . . وكم دفنت حبا بارادتي ، فلماذا
لا أحب بارادتي ؟ . . »

فقال زكى : « ولكن هل الحب بالارادة ؟ »
وقالت كريمة : « ولكنك تحب زوجتك ؟ »
فقال يجيبهما : « نعم بالارادة . . أشغل قلبك
بارأة معينة ، يُشغَل . . وأنت يامولاتي أقول
لك إنى أحب زوجتي . . وسأظل أحبها . . ما في
هذا شك . . بحكم المادة على الأقل . . ولكنه
حب هادى فآثر . . قولى إذا شئت إنه حب
رزين . . وماذا ينفع الحب الرزين ؟ . . ان الانسان
يحتاج أحيانا الى وقدة الأتون ليصهر نفسه فى النار ،
فيصفو معدنه من الأخلاط التى تتكدس كالصدأ
على السلك فتقطع تيار الحياة . . التيار الروحى الذى
هو سر الحياة . . وهذا ما لا تستطيع زوجتي
الآن . . ولا أنا أستطيعه لها . . كلانا أصبح غير
صالح لأن يشير فى نفس صاحبه تلك الزوينة التى
تحرك أعماق النفس وتطغى على السطح بمض
مارسب فيها ، وما لعله أصلح من الطاقى الآن . .
النفس تحتاج الى الزوابع أحيانا لابرار الكامن
وإثارة الدفين . . من يدرى ماذا فى أعماق
نفسى ؟ . . وماذا يمكن أن يدفع بهذا المضمهر الا
ثورة شديدة ؟ . . وكم دفنت حبا بارادتي ، فلماذا
لا أحب بارادتي ؟ . . »

فقال زكى : « ابن عمى ، سيد »
فقال عاقل : « سيد . . ! »
وأمسك فما يابق أن ينال منه أمام خطيبته ،
ويبسط لسانه فيه على مسمع منها ، مهما بلغ من
سعة صدرها

وقال زكى : « يظهر أنك لا ترضى عنه ؟ »
فقال عاقل : « طبعى ألا أرض عن أى رجل
يخطفها منا »

فقال زكى : « يظهر أنك لا ترضى عنه ؟ »
فقال عاقل : « طبعى ألا أرض عن أى رجل
يخطفها منا »

فقال زكى : « يظهر أنك لا ترضى عنه ؟ »
فقال عاقل : « طبعى ألا أرض عن أى رجل
يخطفها منا »

فقال زكى : « يظهر أنك لا ترضى عنه ؟ »
فقال عاقل : « طبعى ألا أرض عن أى رجل
يخطفها منا »

فقال زكى : « يظهر أنك لا ترضى عنه ؟ »
فقال عاقل : « طبعى ألا أرض عن أى رجل
يخطفها منا »

صوتها العطف - : « يظهر أنك تعذبت كثيرا...
صوتك وحده يدل على ذلك »

فقال عاقل بابتسام : « أوه ... إن أشد
ما يعضني ... أفسى ما أكابد ، هو هذا الفراغ ...
نفسى أصبحت صحراء جرداء فهل ألام إذا رحلت
ألمس الرى والخصب ؟ »

فقلت كريمة : « ولكن زوجتك ...
لا تستحق هذا منك »

فقال : « يافتاى تعلمى هذا الدرس .. لا تنتظرى
أن تظل نار الحب مستمرة .. لا يمكن .. ما من
شئ فى الدنيا يدوم ويخلد على الأيام ، فلماذا يخلد
الحب وحده ؟ .. هل تحبين خطيبك هذا ؟ »

فاستجيت أن تقول شيئا ، ولكنه خيل إليه
أنه يستطيع أن يقرأ فى وجهها أن كل فرحتها هى
بالزواج فى ذاته ، وأنه ليس ثم فيما عدا ذلك شئ
خاص .

وكأنما أرادت أن تحول الحديث عن مجراء ،
فقلت وهى تضحك : « قل لى من تنوى أن تحب ؟ »
قال : « من تظنيتها جديرة بحبي ؟ اختارى لى »
قالت : « هل تريد أن تتزوج ؟ »

قال : « يا المرأة ؟ لا تفهم إلا هذا الاحتكار
الممل ... كلا ... أريد أن أحب ... فاختارى لى
كما يختار الصاحب لصاحبه الجياد التى يظنها رابحة
فى السباق »

قالت وهى تضحك : « مرسى ... جعلتنا
جيادا ... »

قال : « لا تهربى ... إنك تعلمين أنى لا أعنى
هذا ... فاختارى ... أربى ذوقك »

فانقد وجهها وقالت : « وهل أنا أعرف ! »
وسمض ليرقد دقائق ، فقد كان والداها فى طنطا
يزوران السيد البدوى ، فى البيت منسجم له ، وخطر
له وهو يضى الى غرفة من غرف النوم ، وهى تمشى
أمامه ، أن فى وسعه أن يحبها ... فان لها لغتها ،
وإن كانت دون اللينور - ابلى كما اعتاد أن
يسمىها - آه لما ذا ترك ابلى وتخلي عنها ؟ حماقة !
لا خير فى الندم الآن ... ونام وهو يفكر فى كريمة
وفى إمكان ... ولكن كيف يمكن ! كيف يمكنى ؟
وأيقظته ، كما رجا منها أن تفعل حوالى الساعة
الخامسة مساء ، فمد يده اليها فأنهضته ثم أراح
كفه على كتفها وهو يقف وأحس أن يده انحدرت
عقوا الى صدرها ، ولمست نديها الناهد ... فشعر
بالدماء تغلى فى عروقه ، ودار رأسه فجذبها اليه ،
وضمها وقبلها ... قبل فها هذه المرة

وقالت وقد تخلصت من عناقه : « احذر أن
تقاط مرة أخرى ... لست لك ... »

فسألها : « ولماذا لا تكونين لى » وخطر له
أنها تقول له ما قاله هو لابلى ؟ بالسخرية !
قالت : « أنت تعرف ... »

قال : « أتكرهين أن أحبك ؟ »
قالت : « هل تحبى ؟ »

قال : « من يدري ! ربما كنت أحبك ...
لعل كنت أحبك طول الزمن الذى أتوهم فيه أنى
لا أحب ... لعل هذا كان السبب فيما أحس أنى أعانيه
من الشقاء ... شقاء الذوى والجفاف ... سأرى
الليلة ... غدا أقول لك هل أحبك أولا أحبك »
قالت : « لماذا تهكم على ؟ »

على السر . اهتديت إلى أصل الداء . الراحة ؟
كيف السبيل اليها وأنا كاليفعل المشدود إلى الساقية
وكما ونى أو وقف صاح به صاحبه : « عا ... عا »
أو ألهب ظهره بالسوط ... ليس لى سيد ... ولا
أسمع أحداً يصيح بى ليستحبنى ... ولكن السوط
فى يد الزمن ... ووقعه على روى ، لا على الجلد ،
ولو كان على الجلد لهان . نعم يجب أن أرتاح ...
أقول لك ... سأذهب الى لبنان وأخذ زوجتى
وأبنائى مئى ... لينتج تيجئين معنا ... إذن لم
هنائى ... هل تستطيعين ؟ »

فهزت رأسها فقال : إذا كان كل ما يملكك ...
فهذا لا قيمة له « ولم يصرح

فقلت : « كلا ... يجب أن أكون بعيدة عنك
ما رأيت منك اليوم يوجب الحذر من قربك ...
أنت كالنار ... ولست أريد أن أحترق »
قال : « صدقت ... وأنا يجب أن أأخذ نارى
ولماذا ؟ ولكن لماذا أخنق نفسى ؟ »

قلت : « يجب ... إلى كبتك ، ولكنى
أعرف أن هذا هو الواجب وألح عليك أن تلتزمه
فأحس أن خنجرنا نفذ الى قلبه ... كبتته ...
وارتفعت يده إلى شعره كأنما ظن أنه فى وسعه أن
يرى الشعر الأبيض فى الظلام بيده ! كبتته ؟ ؟
لولا هذه الشمرات البيضاء ؟ ؟ أوه ... ما الفائدة ؟
ما الفائدة ؟

وظلت كلتا « ما الفائدة » تدوران فى نفسه ،
ويرددان بلا صوت ، وهو راقد فى ليلته تلك ، على
سريره إلى الفجر حتى غلبه النوم !

ابراهيم عبد القادر المازنى

قال : « والله إنى لصادق ... لست أعرف
نفسى ... تعالى ... »

قلت : « احذر ... ألم أقل إنى لست لك ؟
ثم ان زكى قادم »

قال : « أهذا كل ما تخافين ! »
قلت : « كلا ... لست لك ... فلا تخرجنى »
قال : « قبلة واحدة »

فهزت رأسها وقالت : « إنى آسفة ... متألمة
لك ... أشعر أنك غير سعيد ... ولكن ماذا أصنع
اعذرنى »

قال : « أشكرك على هذه . صدقت . لست لى
معذرة »

قلت : « الآن خذ القبلة . أصبحت
تستحقها . »

فقبلها . لا قبلة خفيفة بل بنهم وشده ، فقالت
وهى تنأى عنه وتتحنس شفتيها : « أعوذ بالله ...
ورمت شفتاى ، ما هذا ؟ »

قال : « اعذرى ... صرت كالجل الذى يدخر
للأيام المقبلة .. أيام القحط والمحل والجوع .. »

ومضى بهما فى ذلك المساء إلى السينما ، وكانت
جالسة بينه وبين أخيها ، فكان يهمس فى أذنها من
حين إلى حين ، كأنما كان يفترض علمها بما هو دائر
فى نفسه من الخواطر : « صدقت . لست لى »
فكانت تبتسم ولا تقول شيئاً . وماذا عسى أن
تقول ؟ . ثم همس : « هل أنت ساخطة على ؟ »

قلت : « كلا . بل أنا متوجعة لك . ومتعجبة
أيضاً : أظن أنك محتاج إلى راحة »

قال : « صدقت . إنك حكيمة جداً . وقعت